

الفصل الرابع

عرض البيانات وتحليلها ومناقستها

وقبل كشف معاني الأفعال المتعدية بحرف الجر المتنوعة في سورة البقرة، يجدر الباحث ببحث معانيها المعجمي، وذلك يساعد في كشف أسرار معانيها في القرآن الكريم.

أ. المبحث الأول: معاني الأفعال المتعدية بحرف الجر في سورة البقرة

وجد الباحث في هذه السورة كثيرا من الأفعال المتعدية بحرف الجر، وسيحاول بحث في معانيها المعجمي. وهذه المعاني يأخذها الباحث من المعاجم العربية مثل لسان العرب لابن المنذير، أو المعجم العربية المعصرة لأحمد مختار، أو معجم الأفعال المتعدية بحرف لابن الميالي الأحمدي. ولكن أكثرها مأخوذ من المعجم العربية المعاصرة. وذلك الأفعال فيما يلي:

1. أمن، من قوله تعالى (يؤمنون بالغيب)

أمن-يؤمن، إيماناً، فهو مؤمن، وهو ثلاثي لازم ومتعد بحرف الجر. آمنالشخص: اعتقد وصدق. وقد يتعدى بحرف الجر (اللام) كقولك (أمن الله) بمعنى صدقه فهو مؤمن به. ويتعدى بحرف الباء كمثل (أمن إيمان بالله تعالى) أي بمعنى أسلم له.

2. الفعل "أنزل" من قوله تعالى (وما أنزل إليك)

نزل-ينزل، نزل الشخص/ نزل الشيء: وقع، هبط من علو إلى سفلى. وجاء على صيغة التعدية بالهزة ك(أنزل) وبالتضعيف (نزل). ولفظ (أنزل) قد يتعدى المفعول بنفسه أو المفعولين أحدهما بحرف الجر، وهي (إلى) و(على)، المثال: أنزل الله كلامه على أنبيائه.

3. الفعل "ختم" من قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم)

خَتَمَ-يَخْتِمُ، خَتَمًا وَخِتَامًا، فهو خَاتِمٌ. خَتَمَ البَحْثَ وَنَحْوَهُ أَي أَمَّه وَأَنهَاهُ، والفعل "ختم" من ثلاثي متعدي بنفسه وجاء بمعنى "أتم وأتمى كقولك (ختم الصَّبِيُّ القرآنَ) أي أتمَّ حفظه أو قراءته. ولكن قد يتعدى الفعل "ختم" بحرف، وأصله بحرف الجر (اللام) و(على)، كقولك خَتَمَ اللهُ لَهُ بِخَيْرٍ: أَمَّ عَلَيْهِ نِعْمَتَهُ وَجَعَلَ لَهُ عَاقِبَةَ حَسَنَةً "ختم له بخاتمة السعادة". ولكن يحل أن يتعدى بحرف (على) وجاء بمعنى غطى، المثال: خَتَمَ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ: غَطَّى فَوَهْمَهُ إِثَابَهُ بِمَادَّةٍ عَازِلَةٍ.

4. الفعل خلا من قوله تعالى (وإذا خلوا إلى شياطينهم)

خَلَا-يَخْلُو، اخْلُ، خُلُوًّا وَخِلَاءً، فهو خَالٍ وَخَلِيٌّ وَخِلْوٌ، بمعنى مضى، أو فرغ، انفراد. خلا الوقت وغيره: مضى، ذهب وتقدّم. وهذا الفعل "خلا" من ثلاثي لازم، وقد يتعدى بحرف الجر (عن) أو من. المثال: خلا المكانُ من أهله: صار فارغًا.

5. الفعل "ذهب" من قوله تعالى (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ)

ذَهَبَ-يَذْهَبُ، ذَهَابًا وَذُهُوبًا، فهو ذَاهِبٌ وَذُهُوبٌ، هذا اللفظ ثلاثي لازم، وله معانٍ متنوع بمقرون له، وإذا يقترن بالشخص فتأتى معانٍ منها: انصرف مثل ذهب فلان على عجل، أو بمعنى مات، هلك "ذهب الطَّيِّبُونَ. وَذَهَبَ الخَيْرُ: ذَاعَ وَانْتَشَرَ. وَذَهَبَ الأَثَرُ أَي زال وَانْحَى. وكذلك يطلق على معانٍ متعدد باختلاف الحروف الداخلة عليه، وهذه الحروف تساعد ليتعدى إلى المفاعيل، منها: ذهب مع فلان: وافقه، طاعه، جاراها. ذهب في الدِّينِ مَذْهَبًا: رأى فيه رأيًا، وأحدث فيه بدعةً. ذهب إلى عمله: قصده، توجه إليه. وذهب به يأتي يطلق على معانٍ أيضا منها: أزاله وأضاعه {ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا

يُنْصِرُونَ} . انفراد واستقل " { إِذَا لَدَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ } . أو بمعنى " فاز " { وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ } . "

6. الفعل "نزل" من قوله تعالى (نَزَّلْنَا عَلَّعَبَدِنَا)

نَزَّلَ يَنْزِلُ، تنزيلاً، فهو مُنْزَلٌ، والمفعول مُنْزَلٌ، متعد بنفسه ومتعد بحرف الجر. ونَزَّلَ الشَّخْصَ/نَزَلَ الشَّيْءَ: أنزله؛ جعله يهبط "نَزَلَ الصَّغِيرَ من فوق الدَّرَاجَةِ- نَزَلَ اللهُ المَطَرَ- {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا} ". نَزَلَ الثَّمَنَ: خَفَضَهُ "يَنْزِلُ التُّجَّارُ الأَسْعَارَ في فترة الرُّكُودِ الاقتصاديِّ". ونَزَلَ اللهُ كَلامَهُ على أنبيائه: أنزله؛ أَوْحَى به إليهم، بَيَّنَّهُ لهم " { ذَلِكَ بِأَنَّ اللهُ نَزَّلَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ } ". ونَزَلَ الشَّيْءَ مكان غيره: أقامه مقامه.

7. الفعل "استوى" من قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَىٰ بِالسَّمَاءِ)

من كلمة استوى-يستوي، استوى، استواءً، فهو مُسْتَوٍ، والمفعول مُسْتَوًى عليه، وهذا من ثلاثي لازم، ويطلق على معان منها: اعتدل، استقام مثل (أجبره على أن يستوي). وبمعنى تمَّ شبابه كقوله تعالى {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} .

وقد عدى بحرف الجر (على) بمعنى "استولى وملك"، استوى على سرير الملك- استوى على العرش: تولى الملك- {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} أي علا عليه. أو بمعنى (جلس منتصباً) مثل "استوى على ظهر فرسه"- استوى فوق فرسه: علاه- {وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ. لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} .

8. الفعل "قدس" من قوله تعالى (وَنَحْنُنُسَبِّحُحَمْدِكُوقُدُّسُكَ)

من كلمة قدس-يقدس، تقديساً، فهو مُقَدَّسٌ، والمفعول مُقَدَّسٌ، وأصله يتعدى بنفسه. يطلق على معان، منها:

قدّس الشَّخصُ: زار بيت المقدس. قدّس الله: عظّمه وبجّله ونزّهه عمّا لا يليق بألوهيّته.
 قدّس الحياةَ الزوجيّة: احترامها. قدّس الله فلاناً: طهره وبارك عليه. قدّس الله سيره/ قدّس الله
 روحه: دعاء لميت بالرحمة. وقد يتعدى باللام، مثل "قدّس لله": طهر نفسه له

9. الفعل "أزل" من قوله تعالى (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا)

من كلمة زلّ-يزلّ، ازليل/ازلّ، زلاً وزلواً، فهو زالّ، والمفعول مزلول عنه. زلّت قدمه:
 زلقت ولم تثبت. {وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا} أي تشبيه
 الانحراف عن الطريق المستقيم بمن زلّت قدمه وزلقت.
 وجاء على صيغة (أزلّ يزلّ، أزلل/أزلّ، إزلالاً، فهو مزلّ، والمفعول مزلّ، ولما يأتي على
 هذه الصيغة فيكون متعدياً إلى مفعولين أحدهما بحرف الجر (عن).

10. الفعل "تاب" من قوله تعالى (فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ تَبَعَلَيْهِ)

من كلمة تاب-يتوب، تُبّ، توباً وتوبةً، فهو تائب، والمفعول متوب إليه. وقد يتعدى
 ب (إلى) أو (على) أو (عن).
 • تاب المذنّب/ تاب المذنّب إلى الله: ندم على ما صدر عنه، ورجع عن المعصية "تاب
 العصي من ذنوبه الكثيرة- {وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا}."
 • تاب الله عليه/ تاب الله عنه: وقفه للرجوع عن المعصية وعفّر له وصفح عنه "التوبة
 النصوح أن يتوب العبد عن الذنب ولا يعود إليه- {فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ
 عَلَيْهِ}."

11. الفعل "هبط" من قوله تعالى (قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا)

من كلمة هَبَطَ-يَهْبُطُ وَيَهْبِطُ، هُبُوطًا وَهَبْطًا، فهو هابِطٌ، والمفعول مهبوطٌ، من ثلاثي لازم ويطلق على معانٍ، منها: (هَبَطَ مَالُهُ): انخفض، نَقَصَ وَقَلَّ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ.
ويتعدى ب (إلى)، هَبَطَ الْمَكَانَ/هَبَطَ إِلَى الْمَكَانِ: دَخَلَهُ، نَزَلَهُ "هَبَطَ السُّوقَ: أَتَاهَا، قَصَدَهَا-هَبَطَ الْوَادِي/ الْبَلَدَ- هَبَطَتِ الطَّائِرَةُ إِلَى الْمَطَارِ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى {أَهْبِطُوا مِصْرًا}.

12. الفعل "كذب" من قوله تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

من كلمة كَذَبَ-يَكْذِبُ، كِذْبًا وَكَذِبًا وَكِذَابًا وَكِذْبَةً وَكِذَابًا، فهو كاذبٌ، والمفعول مكذوبٌ عليه، وأصله من ثلاثي لازم. وله معانٍ، منها: أخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع، عكسه صدق. ومنها بمعنى (أخطأ) مثل: كذب الأملُ/الرأيُ/الظنُّ/العينُ. ومنها بمعنى (مكر وكفر).

ولكن قد يتعدى الفعل (كذب) ب (على)، وذلك يطلق على معنى الإخبار بخلاف الواقع كقولك (كذب على فلان) أي أخبره بخلاف الواقع.

13. الفعل "اشترى" من قوله تعالى (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِنَا قَدِيلًا

اشترى يشتري، اشْتَرَى، اشْتَرَاءً، فهو مُشْتَرٍ، وهذا من ثلاثي متعدٍ بنفسه. شراه؛ أخذه بِشَمْنٍ، ملكه بالبَيْع "اشترى كتابًا- اشترى أسهمًا. أو بمعنى (باعه) {بِشَمَانٍ اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ}. أو بمعنى (استبدل) المثال، اشترى قمحًا بذرّةٍ {اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى}.

14. الفعل "ركع" من قوله تعالى (وَأَرْكَعُوا مَعَالِ الرُّكْعَيْنِ

من كلمة رَكَعَ-يَرْكَعُ، رُكْعًا وَرُكُوعًا، فهو رَاكِعٌ، والمفعول مَرْكُوعٌ إِلَيْهِ، يتعدى بحرف الجر (إلى). وله معانٍ: منها، (ذَلٌّ، انْحَطَّتْ حَالُهُ وَافْتَقَرَ الْمَثَالَ، رَكَعَ فَلَانٌ بَعْدَ عِزِّ: افْتَقَرَ وَسَاءَتْ حَالُهُ الْمَادِيَّةُ. ومنها، (انْحَى، سِوَاءَ مَسَّتْ رِكْبَتَاهُ الْأَرْضَ أَمْ لَا)، المثال، رَكَعَ الشَّيْخُ: انْحَى

من الكِبَر والضعف. ورَكَع المِصْلِي في صلاته: انحنى بعد القيام حتى تنال راحتاه ركبتيه،
ويطمئن ظهره " {ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ} .

ورَكَع فلانٌ إلى الله/ رَكَع فلانٌ لله: خضع وتواضع " {فَاسْتَعْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} .

15. الفعل "عفا" من قوله تعالى (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِمَّا فَعَلْتُمْ) (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِمَّا فَعَلْتُمْ)

عفا يَعْفُو، اعْفُ، عَفَاءٌ وَعُفْوًا، فهو عافٍ، وقد جاء لازماً ويبدل على معنى (زال،
انحى، قَدَم)، مقل "عفت معالم الطريق - عفا فكره/ أُنِر الاحتلال" أي زال الأثر. وعفا
عليه الزَّمَن: تجاوزته الأحداث وصار متخلِّفاً. وعفا الشَّعْرُ والنَّبْتُ: كَثُرَ " {حَتَّى عَفَوْا}:
كثرت أمواتهم وأولادهم".

وقد جاء متعدياً ليدل على معنى (أزال) كقولك "عفت الريح الأثر": محته، أزالته. وفي
بعض الأحيان قد يأتي مقروناً بحرف الجر (عن)، عفا عنه ذنبه/ عفا له ذنبه/ عفا عن ذنبه:
صفح عنه ولم يُعاقبه، عَفَرَ وتجاوز. وعفا عن حقّه: أسقطه.

16. الفعل "ظلل" من قوله تعالى (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ)

ظَلَّلَ يُظَلِّلُ، تظليلاً، فهو مُظَلِّلٌ، والمفعول مُظَلَّلٌ، من الفعل المتعدي بنفسه. ومعناه
(أظلل) كقولك ظلل الشجر: امتدَّ ظلُّه عليه. وجعل له ظلالاً أو خطوطاً خفيفة "ظلل
الصورة". وقد جاء في القرآن مقروناً بحرف الجر (على).

17. الفعل "فتح" من قوله تعالى (أَتُحَدِّثُونَهُمِ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ)

فَتَحَ/ فَتَحَ على يَفْتَحُ، فَتْحًا، فهو فاتِحٌ، والمفعول مُفْتَوَحٌ (للمتعدّي). له معان (أزال)
كقولك فتح الباب والصندوق أي أزال إغلاقهما. أو بمعنى (بدأ) كقولك فَتَحَ الاجتماع:
بدأ عمله. أو بمعنى (احتل)، المثال: فَتَحَ المدينة أو البلدة أي احتلها.

وقد جاء الفعل "فتح" في القرآن مقرونا بحرف الجر (على). ويدل على معنى أوضح، أعلم، فتح عليه الأمر أي أعلمه به ووقفه عليه.

18. الفعل "تلا" من قوله تعالى (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيْطَانُ عَلَّمَكَ سُلَيْمَنَ)

تلا-يَتْلُو، اتل، تلاوة، فهو تالٍ، والمفعول مَتْلُو. وهو متعد بنفسه. وتلا الكتاب ونحوه: قرأه "تلا آيات من القرآن الكريم: رتلها في إنشاد- {الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ} والمراد: التلاوة مع إعطائها حَقَّها من التأمل والعمل بمقتضاها.

19. الفعل "رغب" من قوله تعالى (وَمَن يَرْغَبْ غَنَمًا لِّبُرْهِيمَ)

رَغِبَ-يَرْغَبُ، رَغْبًا ورَغْبًا ورَغْبَةً ورُغْبَةً، فهو رَاغِبٌ، والمفعول مَرْغُوبٌ، ويتعدى بحرف الجر أكثر من اثنين، ويختلف معنى الفعل باختلاف الحرف الداخل عليه.

وإذا جاء بصيغة (رَغِبَ في الشَّيْءِ): أرادته وحرص عليه وطمع فيه وأحبَّه "رَغِبَ الزواج/ في الزواج- رَغِبَ في فلانة: أراد الزواج منها- كل ممنوع مرغوب. ولما يأتي بصيغة (رَغِبَ إليه) دل على معنى تَرْجَاهُ، ابتهل وتضرع، ابتغى التحالف معه وسعى إليه. ولما يأتي على صيغة (رَغِبَ عن الشَّيْءِ) دل على معنى، تركه وزهد فيه "رَغِبَ عن الرذائل.

20. الفعل "شكر" من قوله تعالى (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)

شَكَرَ-يَشْكُرُ، شُكْرًا وشُكْرَانًا وشُكُورًا، فهو شَاكِرٌ، والمفعول مَشْكُورٌ (للمتعدّي). وله معان، منها: حمد، (شَكَرَ الله/ شَكَرَ لله) بمعنى حمده، ذكر نعمته وأثنى عليه. من شكر القليل استحق الجزيل- لا يشكر الله من لا يشكر النَّاسَ- اشكُرْ من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}. ومنها بمعنى (رضى)، شكر الله عبده: رضي عنه وأثابه " {وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}.

21. الفعل "كتب" من قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِيمَا لِقْتَلْتُمُ)

كُتِبَ / كَتَبَ إِلَى / كَتَبَ فِي / كَتَبَ لَ يَكْتُبُ، كِتَابَةً وَكِتَابًا وَكُتِبًا، فهو كاتب، والمفعول مَكْتُوبٌ (للمتعدّي). وله معان كثير منها: أَلْفَ، أبداع، سَجَّلَ، دَوَّنَ، أثبت.

ولما يأتي مقرونا بحرف الجر (إلى) دل على معنى أرسل كقولك " كتب إليه أي أرسله رسالة أو كتابة. ولما يأتي مقرونا بـ (على) دل على (أوجب، فرض)، كُتِبَ على نفسه الصَّدَقَ: أوجبه عليها، قضى به وحكم، فرضه عليها "كتب على نفسه أن يعين جاره - كتب عليه القاضي بالنفقة - { كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ }".

22. الفعل "كبر" من قوله تعالى (وَلِتَكْبِرُوا لِلَّهِ لَمَّا هَدَانَكُمْ)

من كلمة "كَبَّرَ يَكْبُرُ، تكبيرًا، فهو مُكَبِّرٌ، والمفعول مُكَبَّرٌ (للمتعدّي)". كَبَّرَ المِصْلِي: قال: الله أكبر، تعظيمًا لله " { وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ }". كَبَّرَ المسألة: جعلها أو رآها كبيرة، زاد أبعادها وضحّمها وعظّمها "كَبَّرَ رأس ماله: نمّاه.

23. الفعل "رفث" من قوله تعالى (أَحِلَّ لَكُم مِّلَّةُ الصِّيَامِ لَرَفَثِ النِّسَاءِ كُمْ)

رَفَثَ ب/ رَفَثَ فِي يَرِفُثُ وَيَرِفُثُ، رَفَثًا وَرَفَثًا وَرَفُوثًا، فهو رافث، والمفعول مرفوثٌ به.

- رَفَثَ الرَّجُلُ مع زوجته / رَفَثَ الرَّجُلُ بزوجه: جامعها، أفضى إليها " { أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ }".

- رَفَثَ الرَّجُلُ في كلامه: أفحش وصرّح فيه بكلام قبيح (كأن يُصرّح بما يُكِنّي عنه من أَلْفَاظِ النِّكَاحِ).

24. الفعل "ألقى" من قوله تعالى (وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)

ألقى-يلقي، ألق، إلقاء، فهو مُلقٍ، والمفعول مُلقًى، وقد يتعدى بنفسه كقولك ألقى الدرس: أملاه وعلمه. ب (إلى) أو (على) أو (في). وله معان، منها: طرحه، رمى وقذف، كقولك "ألقاه إلى الأرض" أي طرحه، رماه وقذف به. ومنها دل على معنى (وضح)، ألقى الضوء على الموضوع/ ألقى ضوءاً على الموضوع: وضح وبيّنه.

25. الفعل "خرج" من قوله تعالى (الْمَتْرَإِلَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ)

خَرَجَ / خَرَجَ إِلَى / خَرَجَ عَلَى / خَرَجَ عَنْ / خَرَجَ مِنْ يَخْرُجُ، خروجًا، فهو خارج، والمفعول مخروج إليه. وأصله يتعدى بحرف الجر (إلى). ومن معانيها فيما يلي:
 خَرَجَ فلانٌ وغيره: برز من موضعه أو مقرّه وظهر، ضدّ دخل. خَرَجَ العملُ إلى النُّور: ظهر وخَرَجَ ولم يَعُد. خَرَجَ الكتابُ: صدر، طُبِع ونُشِر.

ولما يأتي بصيغة (خرج إلى)، كقولك "خَرَجَ إلى المسجد أي ذهب إليه. خَرَجَ إلى فلان: قابله. خَرَجَ بنتيجة: اكتشفها، توصل إليها. ولما يأتي على صيغة (خرج على) كقولك "خَرَجَ على الحاكم" أي تمرد وثار عليه ونبذ طاعته. خَرَجَ على القانون/ خَرَجَ عن القانون: أجرم، تجاوزه وتخطّاه- خَرَجَ عليه: برز لقتاله- خَرَجَ عن الطاعة: شقّ عصا الطاعة، عصى ورفض أن يطيع. وعلى صيغة (خرج عن) يطلق على معنى انحراف كقولك "خَرَجَ القطارُ عن الخطّ": انحرف عن قضبانه. خَرَجَ عن الصَّواب: أخطأ- خَرَجَ عن الموضوع: حاد عنه- خَرَجَ عن صمته: تكلم، نطق- لا يخرُج عن كذا: لا يتجاوز.

والأخير يأتي بصيغة (خرج من)، مثل خَرَجَ من المحنة: تخلص منها "خرج من المشكلة"? خَرَجَ من ثيابه: مزّقها. خَرَجَ من بيته: تركه وغادره "خَرَجَ من المشروع- خَرَجَ من ميدان العمل"? خَرَجَ من الحياة: مات- خَرَجَ من تحت يده: تعلّم منه وتربّي عليه- خَرَجَ من يده: فقد السيطرة عليه.

26. الفعل "بعث" من قوله تعالى (إِنَّا لِلّٰهِ قَدْبَعَثَلَكُمْ طَأَلُو تَمَلِكَا)

بَعَثَ-يُبْعِثُ، بَعَثًا وَبِعْثَةً وَبِعْثَةً، فهو باعِثٌ، والمفعول مَبْعُوثٌ، وهذا من المتعدى بنفسه. ولكن وقد يأتي بمقرون بعض حروف الجر منها: حرف الجر (الباء) وحرف الجر (في). ويأتي معناه فيما يلي:

بَعَثَ اللهُ الخَلْقَ: أحياهم بعد موتهم. بعثه من النوم: أيقظه- يُبعث من جديد: ينهض من العدم. أو بمعنى (أرسله) كقولك "بعث الرئيس وزير الخارجية للتفاوض أي أرسله. وبعث رسالة/ بعث إليه رسالة/ بعث له رسالة/ بعث برسالة/ بعث إليه برسالة: أرسلها، وجهها. بعث الشخص على النجاح: حمله عليه، أجبره، أغراه به وشجعه عليه "بعثه الحزن على البكاء- جوَّ يبعث على المذاكرة- {بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ}: سلطنا."

ب.المبحث الثاني: أسرار تعدية الفعل بحرف الجر في سورة البقرة .

في هذا الفصل سيعرضكم الباحث عن أسرار تعدية الفعل بحرف الجر من خلال سورة البقرة، ويتمنى بعد العرض والتحليل لبعض الآيات فيها من حيث تعدية أفعال بحرف الجر ينتمي إلى مفهوم وكشف أسرار معانيها إما من المعنى المعجمي أو المعنى القرآني، ويتحقق ذلك بفهم بعض أقوال اللغويين والمفسرين عنها.

وبعد جمع البيانات عن تعدية الفعل بحرف الجر، فوجد الباحث ثمانيو عشرين أية، وذلك

فيما يلي:

1. الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣

قد وردت كلمة "أمن" في القرآن بصيغتين، وقد يتعدى باللام في موضع كقوله تعالى (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى..الخ. يونس:83)، وقوله (فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ..الخ. العنكبوت:26)، وقد يتعدى بالباء كما في هذه الآية.

كلمة الإيمان في اللغة مصدر أمن قد تتعدى باللام والباء. فالمعدة باللام معناها التصديق أو التسليم أو الإذعان، فيقال (أمن له) بمعنى صدقه فيما يقول وترد أيضا معداة باللام بمعنى التسليم فيقال (أمن له) بمعنى سلمه أو حفظ غيبته فلم يتكلم في عرضه ولم يلمه في غيبته، كقوله تعالى في سورة التوبة:61 (...يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ..) أي يصدق الله فيما يقول، ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه به لعلمه بإخلاصهم.

وأما كلمة (أمن) المعدة بالباء فإنها تقتضى زيادة على التصديق وهو التصديق اللازم الذي لا يقبل الشك، والذي يقتضى عملا، ولهذا لا يحل أن يتعدى (أمن) بالباء إلا على ما هو ركن من أركان الإيمان. تقول أمن فلان بالله، أو أمن بالرسول، أو أمن بالكتاب، أو أمن بالملائكة، أو أمن بالملائكة، أو أمن بالقدر، لكن لا يحل أن تقول آمن بفلان من الناس، بمعنى صدقه، ولا يجوز أن تقول آمنت بالمذهب الفلاني لأن هذا وإن كان تصديقا لكنه لا يقتضى الجزم. ولكن يجوز أن تقول آمن للمذهب الفلاني، أو آمن للخبر الفلاني، أو أمن لفلان بمعنى صدقه، إذن تعديتها بالباء تقتضى التصديق الجازم لا يقبل الشك ويقتضى بالعمل.

لذلك هذه الآية يدل على الإيمان بالغيب إيمانا جازما، أي أن الفعل "أمن" في هذه الآية يتضمن معنى الإقرار، أو الاعتراف، أو التصديق، فعدها تعديته فصار متضمنا لتصديق الجنان وإقرار اللسان. والإنسان لا يعترف بأحد إلا بعد معرفة شخصيته، أو علمه أو جماله.

قال الإمام علي كرم الله تعالى وجهه إن الإيمان معرفة والمعرفة تسليم والتسليم تصديق،²⁴ إذن غاية هذا الاعتراف التصديق، والتصديق هو الإيمان.

تأمل الآية، تجد كأن الله تعالى يقول "الذين يعترفون بالغيب ثم يصدقون بأن الله تعالى موجود والجنة حق والنار حق، فأولئك هم المتقون". ولعل سائل يسأل، لم عدل تعالى عن لفظ (يقرون أو يعترفون) إلى (يؤمنون)؟ فالجواب لو قالى تعالى "الذين يعترفون بالغيب"، لكان الكافرون من المتقين. ومن المعروف أن الكافرين منهم من يعترف بأن الله تعالى موجود والجنة موجود والنار موجود ولكن لا يؤمن بذلك، أي لا يصدق بلسانه وقلبه وعمله. ولذلك أراد الله تعالى بقوله (هدى للمتقين)، والمتقون هم الذين يعترفون بالغيب أي (بالله، بالملائكة، بالجنة، بالنار، وغيرها) مع إيمانهم الصديق الجازم، ويطعمون الصلاة، وينفقون من بعض ما رزقهم الله.

2. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤

قد اختلف المفسرون في حق هذه الآية، منهم من يقول أن هذه الآية تتحدث عن مؤمني أهل الكتاب وهم من المفلحين بخلاف الآية قبلها (الذين يؤمنون بالغيب ويطعمون الصلاة...البقرة:3)، هذه الآية نزلت في مؤمني العرب وأولئك هم المهتدون. ومنهم من يقول أنها تتحدث عن المؤمنين جميعا ولذلك كانت الآية عَطَفَ عَلَى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ [البقرة: 3] أي طَائِفَةٌ ثَانِيَةٌ عَلَى الطَّائِفَةِ الْأُولَى الْمَعْنِيَّةِ بِقَوْلِهِ: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَهُمَا مَعًا قِسْمَانِ لِلْمُتَّقِينَ.

²⁴ شهاب الدين الالوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415)، ص.114.

بصرف النظر عن هذا الاختلاف أراد الباحث في بحث الآية من جهة أخرى وهي فهم الفعل "أنزل"، لأن مفهوم هذا الفعل يؤدي إلى معرفة إرادة الله، لمن يستحق الثناء بالمتقين أو المهتمدين في هذه الآية؟ حيث أن الله تعالى اقترن الفعل "أنزل" بـ إلى في موضع واقترن بـ علي في موضع آخر. أحياناً حروف الجرّ يستعمل بعضها مكان بعض لكن يلفت النظر لم استعملت هذا هنا وهذا هنا؟ لماذا يقول الله تعالى في هذه الآية "أنزل إليك" ويقول في أية أخرى "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ" [آل عمران: 7]؟

لما تأتي (إلى) معناها الغاية، الوصول. ولما تأتي (على) فيها معنى نوع من الإستعلاء. لاحظ عندما تقول: دخل زيد إلى القوم. يعني مشى ودخل إليهم كأنه في مستوى واحد. لكن لما تقول دخل عليهم كأنه مرتفع عنهم فيه نوع من التعالي. كذلك (خرج على قومه في زينته) فيها نوع من العلو. هو نفس الفعل خرج ودخل. لما تأتي: أرسل إليه أو أرسل إلينا كأنه قريب منا وباشرنا نحن، مسنا. وعلينا: فيه نوع من التلقي من علو.

انظر إلى الأيتين تجد بظاهرتهما يتحدثان عن الوحي (القران)، ولكن إذا تأملت تجد أن لهما فرق. والوحي لما يأتي من أين يأتي؟ من الله الذي هو أعلى فلما يأتي من الله تقول أنزل علي محمد صلى الله عليه وسلم. فالمراد من قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب) إذا أن تؤمن بأن الله هو الذي أنزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم، أي أن الإيمان بالله بتصديق الربوبية أن هذا الكلام كلام الله لما تقول أنزل عليك فتؤمن بأن هذا الكلام أنزل علي محمد من الله فأنت إذا تصديق الربوبية. وأما قوله تعالى (أنزل إليك) هذا الذي نزل، نزل لمن؟ نزل لمحمد إذا صار هناك تصديق النبوة والرسالة. فالآيتان إحداهما تتحدث عن تصديق الربوبية والثانية تتحدث عن تصديق الرسالة والرسول والنبوة.

هذه الآية (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ..). إذا تتحدث عن تصديق الرسالة والرسول والنبوة ودليلها بأن الله تعالى يقترن الفعل "أنزل" بـ إلى الذي يدل على الغاية، إي بمعنى

إيصال الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فالثناء لقوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) يشتمل على من يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم) أنه رسول الله جاء به القرآن المنزل من عند الله تعالى.

3. خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧

قوله تعالى "ختم الله على قلوبهم". الختم حقيقته السد على الإناء والغلق على الكتاب بطين ونحوه مع وضع علامة مرسومة في خاتم ليمنع ذلك من فتح المختوم. وَلَيْسَ الخِتْمُ عَلَى القُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ هُنَا حَقِيقَةً بَلْ ذَلِكَ جَارٍ عَلَى طَرِيقَةِ المَجَازِ بِأَنَّ جَعَلَ قُلُوبَهُمْ أَيْ عَقُولَهُمْ فِي عَدَمِ نُفُوزِ الإِيمَانِ وَالْحَقُّوَالْإِزْشَادِ إِلَيْهَا.²⁵ وإذا تأملت الختم وجدت المقصود منه أن الشيء الداخل يظل داخلا لا يخرج وأن الخارج يظل خارجا لا يدخل.

في هذه الآية لم يقل الله "ختم الله قلوبهم" مع أن الفعل ختم يتعدى بنفسه، والله يقول "ختم الله على قلوبهم"، فما المراد بذلك؟ هذه الآية تدل أن الله تعالى لا يظلم عبده فالله ليس بظلام للعبيد، أي ان الله تعالى لن يجعل قلوبهم محتوما بلا سبب، فالله تعالى جعل ذلك عقوبة لهم وجزاء على كفرهم وأعراضهم عن الحق بعد أن عرفوه. وهناك دليلان على ذلك فالأول قوله تعالى (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)، والثاني هو حرف الجر "على" الذي يقترن به الفعل ختم. هذا الحرف بمعنى الاستعلاء أي يدل على عظمة الله وقدرته على عباده الذين كفروا ولم يرتجوا هدايتهم. ولو قال "ختم الله قلوبهم" لكان هذا دليل على أن الله تعالى ظالم لعباده كما زعموا القدرية، ولكن قوله تعالى "ختم الله على قلوبهم" يدل على أن هناك السبب والمسبب أي بسبب أن الكافر لا يريد

²⁵ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ص.254

الحق ولو أشارهم الله إليه فطبع الله على قلوبهم بذلك، ولن يدخل الأيمان في قلوبهم إلا بعد أن يخرج ما في قلوبهم من العناد والاستكبار.

4. وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسَدِّقُونَ ۚ ١٤

(خللوا) بِمَعْنَى انْفَرَدُوا فَهُوَ فِعْلٌ قَاصِرٌ وَيُعَدَّى بِالْبَاءِ وَبِاللَّامِ وَمِنْ مَعَ بِلَا تَضْمِينٍ وَيُعَدَّى بِأَلَى عَلَى تَضْمِينٍ مَعْنَى آبٍ أَوْ خَلَصَ وَيُعَدَّى بِنَفْسِهِ عَلَى تَضْمِينٍ تَجَاوَزَ وَبَاعَدَ وَمِنْهُ مَا شَاعَ مِنْ قَوْلِهِمْ: «أَفْعَلْ كَذَا وَخَلَاكَ دَمٌّ» (1) أَيِ إِنَّ تَبِعَةَ الْأَمْرِ أَوْ ضُرَّهُ لَا تَعُودُ عَلَيْكَ.²⁶

وقال ابن حيان: إذا تعدى بالباء احتمل معنيين: أحدهما الانفراد والآخر السخرية، ولا يحتمل إلا معنى واحداً إذا تعدى بـ (إلى). وذلك بتضمينه معنى صرف أي صرفوا خلاهم إلى شياطينهم وفي الآية (76) في البقرة: [وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ] قال: الأولى أن يضمن فعل خلا معنى فعل يتعدى بـ (إلى) أي: انضوى واستكان، لأن تضمين الأفعال أولى من تضمين الحروف. ونص ابن كثير: على تعاقبها مع (مع) لكنه استحسن التضمين. أما الزمخشري: فجمع المعنيين السخرية والإنهاء فقال: أنهموا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها.

وذهب الرازي: إلى تضمينه معنى مضى ومنه (القرون الخالية) وضمنه الخازن معنى رجعوا و (إلى) بمعنى الباء أو مع، ونفى الطبري التعاقب هنا وجعل التضمين أصوب، وضمنه الشوكاني معنى ذهبوا وانصرفوا وضمنه الزركشي معنى انصرفوا وقال: التضمين أولى من معنى الباء أو مع.

²⁶ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ص.291

أقول: ولعلي أميل إلى تضمينه معنى (خُلص، ارتاح إليه وسكن) وَقَدْ عُذِّي هُنَا بِإِلَى
اليشير إِلَى أَنَّ الْخُلُوءَ كَانَتْ فِي مَوَاضِعَ هِيَ مَا بَهُمْ وَمَرَجَعُهُمْ وَأَنَّ لِقَاءَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا هُوَ
صُدُقَةٌ وَلَمَحَاتٌ قَلِيلَةٌ، أَفَادَ ذَلِكَ كُلَّهُ قَوْلُهُ: لَقُوا وَخَلُّوا. وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ فَصَاحَةِ الْكَلِمَاتِ
وَصَرَاحَتِهَا. وَفِي خُلُوتِهِمْ هَذِهِ مَا شَعَتْ مِنْ وَسَائِلِ الْكَيْدِ وَالْفِتْنَةِ، يُحَذِّرُنَا اللَّهُ مِنْهَا حِينَ
يُكْشِفُهَا لَنَا. وَتِلْكَ جَبَلَتُهُمْ وَمَا نَلَقَاهُ مِنْ شُرُورِهِمْ بَلْ وَمَا يَلْقَاهُ الْعَالَمُ كُلَّهُ مِنْهُمْ مِنْ نَقْضِ
لِلْمَوَاطِئِ وَنُكُولِ عَنِ الْعَهْدِ، وَجِدَالِهِمْ بِالْبَاطِلِ وَتَحْرِيفِهِمْ لِنُصُوصِ كِتَابِهِمْ وَمُخَالَفَةِ شَرِيعَتِهِمْ.

أين المسلمون الذين ينتفعون من هدي القرآن في ردّ كيد يهود ومكرهم؟ بل والقضاء
عليهم ويهود اليوم يبذلون الكثير لصرف المسلمين عن كتابهم بكل الوسائل كي لا يكون
مصدرا لقوتهم من جديد، وكل مُعادٍ للإسلام أو صارف عنه حتى ولو كان من بني جلدتنا
تحت أي شعار كان: فهو يهودي أو من عملاء يهود وسيبقى يهود مستمتعين بنعمة الأمن
ما دام المسلمون غافلين عن متناقلين أي السنة والقران.

5. مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذَّيَّاسِ وَقَدْ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَوَكَهْتُمْ فِي ظُلْمٍ لَا يَبْصُرُونَ ١٧

شبه سبحانه وتعالى أعداءه المنافقين بقوم أوقدوا نارا لتضيء لهم ويتنفعوا بها ، فلما
أضاءت لهم النار فأبصروا في ضوئها ما ينفعهم ويضرهم وأبصروا الطريق بعد أن كانوا حيارى
تائهين فهم كقوم سافر ضلوا عن الطريق فأوقدوا النار لتضيء لهم الطريق، فلما أضاءت لهم
فأبصروا وعرفوا طفتت تلك النار وبقوا في الظلمات لا يبصرون قد سدت عليهم أبواب
الهدى الثلاث، فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب، مما يسمعه بأذنه ويراه بعينه
ويعقله بقلبه، وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى فلا تسمع قلوبهم شيئا ولا تبصره ولا
تعقل ما ينفعه.

ولما لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم نزلوا منزلة من لا سمع له ولا بصر ولا عقل، والقولان متلازمان ، وقال في صفتهم : (فهم لا يرجعون)، لأنهم قد رأوا في ضوء النار وأبصروا الهدى فلما طفئت عنهم لم يرجعوا إلى ما رأوا وأبصروا. وقال سبحانه وتعالى: (ذهب الله بنورهم) ، ولم يقل: ذهب نورهم، وفيه سر بديع وهو انقطاع تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله تعالى، فإن الله تعالى مع المؤمنين، وإن الله مع الصابرين، و (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)، فذهب الله بذلك النور انقطاع لمعيته الخاصة التي هي للمؤمنين خص بها أوليائه فقطعها بينه وبين المنافقين فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم فليس لهم نصيب من قوله تعالى: (لَا تَحْزَنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا..التوبة:40) ولا من قوله: (كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ. الشعراء:62).

تأمل أن الله تعالى يستخدم الفعل ذهب يتعدى بحرف الباء، ولو حذف هذا الحرف لانقطع نور الله من المؤمنين والمنافقين كلهم، ولكن أراد الله سبحانه في هذه الآية انقطاع النور من المنافقين خاصة.

وتأمل مرة أخرى كيف قال: (بنورهم) ولم يقل: بضوئهم مع قوله: (فلما أضاءت ما حوله)، لأن الضوء هو زيادة في النور، ولو قيل: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل ، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهابا بالشيء وزيادته، وأيضا فإنه أبلغ في النفي عنهم وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم ، وأيضا: فإن الله سبحانه وتعالى سمي كتابه نورا، ورسوله صلى الله عليه وسلم نورا، ودينه نورا، وهداه نورا، ومن أسمائه النور، والصلاة نور، فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله.

6. وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَيَّ عَبْدَنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادُّعُوا
شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣

أن الله تعالى يوصف إنزال الوحي على بعض صيغات، وقد تورد في موضع على صيغة "أنزل" وفي موضع آخر على صيغة "نزل"، كما قال في هذه الآية "مما نزل على عبدنا". وما الفرق بينهما؟ ولكل من الصيغتين معنى زائداً يخالف معنى الصيغة الأخرى، وإن اتفقتا في المعنى الأصلي للنزول؛ فما كان بزنة (أفعل) يدل على النزول دفعة واحدة، وما كان بزنة (فَعَّل) يدل على تكرار النزول وتتابعه، لأن صيغة (أَفْعَل) من معانيها في العربية الدلالة على حدوث الفعل دفعة واحدة، وصيغة (فَعَّل) تدل على تكرار حدوث الفعل. وصيغة (أَنْزَلَ) في الآيات الآتية تدل نزول الكتب السماوية السابقة جملة واحدة، قال الله عزوجل في نزول التوراة على موسى . عليه السلام: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ... الخ. المائدة:44). وقوله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ).

وأما صيغة "نزل" وردت لدلالة على فعل نزول القران مفرقا منجما، كما في قوله تعالى "مما نزلنا على عبدنا"، هنا اقترن الفعل نزل بـ "على" ليساعد به في تعديته فجاء به معنى استعلاء المنزل وهو سبحانه على المنزل (محمد صلى الله عليه وسلم)، أي أن القران الذي قد وصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم حق من عند الله ولذلك عندما يشك الكافرون على ذلك تحداهم الله ليأتوا مثله بسورة، ولكن لم تفعلوا ولن تفعلوا أبدا.

7. كَيْفَ كَفَرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَشْرَقًا ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ ۲۸

فلو فكر الإنسان في نفسه وبمقتضى فطرته الصحيحة السوية، لعرف أن سبب وجوده في هذا العالم هو قدرة الله، وأن الله أنعم علينا بنعمة الوجود، ووهب لنا عقلا، وكرّمنا فجعل حدّا لآجالنا، وتركنا أحرارا في هذه الحياة لنعمل بقناعة ووعي بما يرضي الله، ويحقق الخير

لأنفسنا وأمتنا، ثم نرجع إلى الله ليحزي كلاً منا على ما قدّمت يداه، ويحاسبنا على التّعمة التي أنعم بها علينا.

هذه الآية مناقشة القران لأولئك الكفار الذين أنكروا ربوبية الله تعالى مرة بعد مرة، وكيف تكفرون بالله؟. وكلمة "الكفر" من كفر-يكفر هو فعل اللازم، والكفر بضم الكاف أصله جحد المنعم عليه نعمة المنعم. والكفر بفتح الكاف وهو الحجب والتغطية لأن جاحد النعمة قد أخفى الاعترافِهَا كَمَا أَنَّ شَاكِرَهَا أَعْلَنَهَا. وجاء الكفر في هذه الآية بصيغة المضارع "تكفرون" وأصله كفر-يكفر-كُفِرَا، بضم الكاف في المصدر. والكفر في هذه الآية يتعدى بالباء مع أنه لازم، وهذا لأنه يتضمن معنى الشرك، والشرك يتعدى بالياء. والشرك أيضا أَشَدُّ صُورَ كُفْرِ النَّعْمَةِ إِذِ الَّذِي يَتْرُكُ عِبَادَةَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ قَدْ كَفَرَ نِعْمَتَهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِذْ تَوَجَّهَ بِالشُّكْرِ لِغَيْرِ الْمُنْعِمِ.

وإذا ما أراد الله معنى الشرك في هذه الآية فلماذا لم يقل "وكيف تشركون بالله؟ وبالتأمل، أن الله تعالى أراد جمع معنى لهذين الفعلين بطريقة التضمنين، أي كأن الله تعالى يقول كيف تشركون بالله بأن تعبدوا الأصنام وقد أنعم الله عليكم بنعمة الوجود قبل العدم، ومن أحق أن تعبدوا، هل الأصنام الذي خلقتهم أنفسكم أم الله الواحد القهار الذي خلقكم من العدم؟.

8. **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسَدَقَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ٢٩**

قال السعدي في تفسير قوله: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ}

{ استَوَى } ترد في القرآن على ثلاثة معاني: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها، الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى: { وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى } وتارة تكون بمعنى "علا" و "ارتفع" وذلك إذا عدت بـ "على" كما في قوله تعالى: { ثم استوى على العرش } وتارة تكون بمعنى "قصد" كما إذا عدت بـ "إلى" كما في هذه الآية، أي: لما خلق تعالى الأرض، قصد إلى خلق السماوات بإرادته ومشئته بعد خلق ما في الأرض، من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر. { فسواهن سبع سماوات } فخلقها وأحكمها، وأتقنها، { وهو بكل شيء عليم } ف { يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها } و { يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ } يعلم السر وأخفى.

إِنَّ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ أَفْعَالَ اللَّهِ تَعَالَى نَاشِئَةٌ عَنِ إِرَادَةِ وَاخْتِيَارِ وَعَلَى وَفِي عِلْمِهِ وَأَنَّ جَمِيعَهَا مُشْتَمِلٌ عَلَى حِكْمٍ وَمَصَالِحٍ وَأَنَّ تِلْكَ الْحِكْمَ هِيَ ثَمَرَاتٌ لِأَفْعَالِهِ تَعَالَى، كما فعله تعالى في خلق السماوات لمصالح الناس ولحفظ الأرض من الكواكب تسقط. ولذلك وردت كلمة "استوى إلى" في قوله { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } تدل على معنى القصد إلى خلق سبع سماوات بإرادته ومشئته. ولو كان كذا لماذا لم يقل "ثم قصد إلى السماء فسوهن سبع سماوات"؟ لأن القصد هنا على وجه الخصوص، أي قصد الله له غرض هو مصالح للناس، والله سبحانه خلق سبع سماوات تماما كاملا لمصالح الناس ولحفظ الأرض من مخاطر الكواكب. وإن قال "ثم قصد إلى السماء" لكان يتبادر إلى ذهن الإنسان بأن الله تعالى خلق سبع سماوات بلا غرض ما.

9. وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّي جَاعِلٌ فِي الْاَرْضِ خَلِيْفَةً قَالُوْۤا اَجْعَلْ فِيْهَا مَنْ يُّفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ لِنُوْفِقَسُ ذِكْرَكَ قَالَ اِنِّيْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ۝۳۰

في هذه الآية يشتمل على الإخبار عن أهل العقل والمنة وأهل الطاعة والخدمة، وأما أهل العقل، أي أن الله تعالى جعل الناس خليفة في الأرض وهم من أهل العقل وأهل المنة يشير بقوله تعالى "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"، وقوله "وعلم آدم الأسماء كلها". وأما أهل الطاعة والخدمة يشير بقوله "ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك"، أي هذه الآية تدل على الإخبار عن كيفية الملائكة في تسبيحهم وتقديسهم لله سبحانه. وقوله (نسبح بحمدك) بمعنى نحن نذكرك مديمين بحمدك على ما أنعمت، لأن ذاته العلية تستحق الحمد في ذاته وقوله (وَتُقَدِّسُ لَكَ) أي نعظمك ونزهك لك أنت. أي: لأجل ذاتك العلية.

هنا استخدم سبحانه الفعل "سَبَّحَ" وهو متعد بنفسه، ولكن لماذا جاء في الآية أنه يقترن بالباء، فالمراد منه الملابس أي نسبحك ونعظمك ملتبسين بحمدك فإنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك. ثم جاء قوله سبحانه "ونقدس لك"، وَفَعَلُ قَدَّسَ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ فَالْإِتْيَانُ بِاللَّامِ مَعَ مَفْعُولِهِ فِي الْآيَةِ لِإِفَادَةِ تَأْكِيدِ حُصُولِ الْفِعْلِ نَحْوُ شَكَرْتُ لَكَ وَنَصَحْتُ لَكَ وَفِي الْحَدِيثِ عِنْدَ ذِكْرِ الَّذِي وَجَدَ كَلْبًا يَلْهَثُ مِنَ الْعَطَشِ (فَأَخَذَ خُفَّهُ فَأَذَلَّهُ فِي الرِّكْبَةِ فَسَقَاهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ) أَي شَكَرَهُ مُبَالَعَةً فِي الشُّكْرِ لِغَلَا يُتَوَهَّمُ ضَعْفُ ذَلِكَ الشُّكْرِ مِنْ أَنَّهُ عَنِ عَمَلٍ حَسَنَةٍ مَعَ دَائِبَةٍ فَدَفَعَ هَذَا الْإِيهَامَ بِالتَّأْكِيدِ بِاللَّامِ وَهَذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ. فَمَعْنَى وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ نَحْنُ نُعْظِمُكَ وَنُنْزَهُكَ وَالْأَوَّلُ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالثَّانِي بِاعْتِقَادِ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُنَاسِبَةِ لِلذَّاتِ الْعَلِيَّةِ.

10. فَازَلَهُمُ الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهَا وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَوًّا وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسَدِّقٌ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ ٣٦

فسر المفسرون هذه الآية "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا" أي حملهما على الزلة بسببها، وتحقيقه أصدر زلتها عنها، و"عن" يتناوب معنى اللام الذي بمعنى التعليل أي حملها على الذلة

بسبب الشجرة، هذه مثلها في قوله تعالى: وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ [التوبة: 114] والضمير على هذا للشجرة. وبعضهم قال كما ذكر الالوسي في روح المعاني أن الفعل "أزل" يتضمن معنى "أذهب" أي أذهبهما عن الحق بطريقة أن يوسوس الشيطان لهما ويزين لهما تناول ما نهيها عنه.

فذهب الباحث أن الرأيين السابقين بإمكان إجماع بينهما أي أن تضمين الفعل وتناوب الحروف يتكامل بعضهم بعضاً، فالمراد من هذه الآية بأن الشيطان يسعى بكل جهدهم أن يوسوس آدم وحواء عليهما السلام حتى أذهبهما عن الحق بسبب تلك الشجرة.

11. فَذَقْنَا آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٣٧

يظهر أن قوله تعالى "فتاب عليه" يعتبر عن حق العبد على الله في توبته، ولكن بالمعروف ليس قبول التوبة واجبا على الله من طريق العقل، فما المراد من تعدية الفعل "تاب بعلى" هنا؟. بالتأمل والتدبر يتبين الباحث أن هذه الآية تدل على فضل الله تعالى على عباده في توبته وأنه الذي سبقت رحمته غضبه، فيرحم عبده في عين غضبه، وذلك يشير بقوله سبحانه "هو التواب الرحيم" فالتواب يدل على كثرة القبول لتوبة العباد.

وَأَصْلُ مَعْنَى تَابَ هُوَ الرَّجُوعُ مِنَ الذَّنْبِ، وَتَابَ الْعَبْدُ رَجَعَ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِ. وَلَمَّا كَانَتْ التَّوْبَةُ رُجُوعًا مِنَ التَّائِبِ إِلَى الطَّاعَةِ وَتَبَدُّلاً لِلْعَصِيَانِ، وَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ فِي الْآيَةِ "فَتَابَ إِلَيْهِ، لِأَنَّ تَعْدِيَةَ الْفِعْلِ "تَابَ بِ" إِلَى "يُطْلَقُ عَلَى مَعْنَى رَجُوعِ الْعَبْدِ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، وَهَذَا بِمَعْنَى أَنَّ الْعَبْدَ فِي الذَّنُوبِ وَيُرِيدُ غَفْرَانَ رَبِّهِ، وَذَلِكَ لَمْ يَلِيقْ بِاسْتِعْمَالِ هَذِهِ الصِّيغَةِ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ اللَّهُ هُنَا إِخْبَارَ أَنَّ نَبِيَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعْصُومٌ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَقَدْ قَبِلَ تَوْبَتَهُ عَنْ نَسْيَانِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا. طه: 105). فجاء بصيغة

هنا "تاب عليه"، تعدية الفعل تاب بـ على الذي يتضمن معنى الرضى، والدليل على ذلك هو حرف الجر "على"، لأن الفعل "رضي" قد يتعدى بـ على. فالمراد من هذه الآية أن النبي آدم عليه السلام فى رضا الله تعالى دائما قبل وبعد أن يتوب إلى الله تعالى.

12. قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي لَهَى فَمَن تَبِعَ هُلَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨

وردت كلمة "هبط" فى القرآن على صيغ مختلفة، وقد يتعدى بالباء كقوله تعالى {يا نوح اهبط بسلام منا} يتضمن معنى حل، وقد يتعدى بنفسه كقوله تعالى {اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم} بمعنى النزول، وهذا معنى الأصل للهبط، وقد يتعدى بـ من كما فى الآية وفى بعض الايات الأخرى كقوله تعالى (فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر) وكلمة "اهبط" هنا يتضمن معنى "الخروج". وقوله تعالى "قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا" كذلك يتضمن معنى الخروج.

ولو سأل سائل: لم اختار ربنا الهبوط على الخروج؟ الجواب لو قال "اخرجوا منها" لضاع علينا معنى الهبوط أى النزول، فليس معنى خروج الجنة هو نزول أهلها (آدم، حواء عليهما السلام وذريتهما) إلى الأرض لأن الجنة يكون أعلى مراتب على الأرض. ولو قال اخرجوا منها، سينزلون إلى أين؟ لا بد من قرار ودار سلام وهو الأرض، ينزلون إليها وإلا بقون مرتحلا ليس لهم مقام.

فجمع التضمين الهبوط بمعنى النزول مع الخروج فأفداهما جميعا، أى معنى الآية أخرجوا من الجنة وأنتم تنزلون إلى الأرض تمتعون بالعيش إلى حين أو إلى يوم القيامة او إلى الموت.

13. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٣٩

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ عطف على فَمَنْ تَبِعَ إلى آخره قسيم له كأنه قال: ومن لم يتبع بل كفروا بالله، وكذبوا بآياته، أو كفروا بالآيات جناناً، وكذبوا بها لساناً.

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير المراد بآياتنا هنا آيات القرآن أي وَكَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ أَي بَأْتَهُ وَحْيٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بَاءٌ يَكْثُرُ دُخُولُهَا عَلَى مُتَعَلِّقِ مَادَّةِ التَّكْذِيبِ مَعَ أَنَّ التَّكْذِيبَ مُتَعَدِّ بِنَفْسِهِ وَلَمْ أَقْفِ فِي كَلَامِ أُمَّةِ اللُّغَةِ عَلَى خَصَائِصِ لِحَاقِهَا بِهَذِهِ الْمَادَّةِ وَالصِّيغَةَ فَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا لِتَأْكِيدِ اللُّصُوقِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّكْذِيبِ²⁷، أي أنهم كذبوا بآيات الله، فأيات الله البينة لم تكن بعيدة منهم (القرب) فقد كان معهم دائماً، ومع ذلك فتكذيبهم وغفلتهم كانت مستمرة.

وقد جاءت كلمتا (الكذب والكفر) مقترنة بـ (آياتنا) في القرآن بتكرار ثمان مرات كالتالي: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة (39)، (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (10)

وكذلك في سورة المائدة-86، الحج-57، المؤمنون-33، الحديد-19، التغابون-10.

وجاءت كلمة (الكفر) مع (الآيات) في القرآن أيضا مكررة أكثر من خمس مرات كقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ حَارًا..الح. النساء:56)، وفي سورة الكهف:105 (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءِ رَبِّهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا).

وعليه لا شك أن التكذيب في الآية التي نحن بصدددها قد تضمن الكفر فيكون المعنى كذبوا مع الكفر بآياتنا وذلك يتناسب بأكثر الآيات في القرآن التي قد ذكر، لأن الفعل

²⁷ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص. 446.

"كفر" ثلاثي لازم ومتعد بحرف، فيكون تقدير معنى التضمين في الآية (كذبوا بأياتنا) أي كفروا مع تكذيب بأياتنا.

14. يُبْنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي آتَيْتُكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُونَ ٤٠

حصّ بنى إسرائيل بالذكر مرة أخرى في هذه الآية، لأنهم أهل كتاب، ولأنهم شهود بأن ما نزل على محمد هو من عند الله، وأن محمدا هو النبي العربي المنتظر، كما يعرفون ذلك من التوراة، عن يقين. وقوله تعالى "اذكرو نعمتي التي أنعمت عليكم"، أراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدّد عليهم: من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق. ومن العفو عن اتخاذ العجل، والتوبة عليهم، وغير ذلك، وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم المبشر به في التوراة والإنجيل.

تأمل كلمة "أنعمت" أنها جاءت بتعدية المفعول بحرف الجر (على) مع أنها متعد بنفسه. قال أبو حيان: تضمّن (أنعم) معنى (التفضيل). لأن الأصل أن يصل إلى المفعول بنفسه، وأنعمت عينه: أي سررتها. وأنعم عليه: بالغ في التفضل عليه والهمزة في (أنعم) تجعل الشيء مصاحبا لما صيغ منه إلا أنه ضمن معنى التفضل فعُدّي ب (على) وأصله التعدية بنفسه. فيكون تقدير معنى الآية اذكروا بما فضلتكم على العالمينم الجم الغفير والنعام الكثير، كما سبق ذكره.

الفعل (أنعم) إذاً يتعدى ب (على) كما جاء في قوله سبحانه: (نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَيِّفَضَلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) وفي قوله: (فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) وفي قوله سبحانه: (قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا) وفي قوله سبحانه: (أُولَئِكَ مَعَ

الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ) وفي قوله سبحانه: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) وقوله سبحانه: (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) وغيرها كثير.

15. وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا كُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ٤١

قوله تعالى "ولا تشتروا آياتي ثمنا قليلا" عَطْفٌ عَلَى النَّهْيِ الَّذِي قَبْلَهُ وَهَذَا النَّهْيُ مُوجَّهٌ إِلَى عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ الْقُدُورَةُ لِقَوْمِهِمْ وَالْمُنَاسِبَةُ أَنَّ الَّذِي صَدَّهُمْ عَنْ قَبُولِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ هُوَ حَشِيَّتُهُمْ أَنَّ نَزُولَ رِئَاسَتِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ فَكَانُوا يَنْظَاهِرُونَ بِإِنْكَارِ الْقُرْآنِ لِيَلْتَفَّ حَوْلَهُمْ عَامَةٌ قَوْمِهِمْ فَتَبَقَى رِئَاسَتُهُمْ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ آمَنَ بِي عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَأَمَنَ بِي الْيَهُودُ كُلُّهُمْ». وَقَدْ اسْتُعِيرَ الْإِشْتِرَاءُ هُنَا لِاسْتِبْدَالِ شَيْءٍ بِآخَرَ دُونَ تَبَايُعٍ.

وبالتأمل أن الله تعالى يستخدم في هذه الآية فعل "اشترى" ليس شري أو غيره. وليس الشراء هنا حقيقيا، بل هو على سبيل المجاز والدليل على ذلك حرف الجر (الباء) بعده، لأن الفعل "اشترى" يتعدى بنفسه ويطلق على معنى أخذ فتقول اشترى الرجل الكتاب أي أحذه وتملكه، ولكن جاء في الآية متعديا بالباء فيتضمن معنى مقابل ويفيد التبادل أي يبادل شيئا بشيء، والباء للارتباط.

وبالمعروف أن في عملية الشراء هناك تبادل بين كائنين، يقدم أحدهما إلى الآخر شيئا يملكه، ويحصل من الآخر مقابله على شيء يملكه الآخر. وفي فعل "اشترى-يشترى" يكون فاعل الفعل الذي يشتري، لديه طمع وحرص على تملك شيء أو منفعة مملكة من آخر، ولذلك فهو يعرض ويبدل ويعطي مقابله شيئا ذو قيمة، فهو يضحى بملك عزيز لديه

للحصول على شيء يظنه أكثر متعة ونفعا، فهو يعرض شيئا للبيع بجهد وحرص مقابل شيء يريده بشدة. وكذلك في هذه الآية وصف الله فعل علماء بني اسرائيل بأنهم استبدل شيئا نفيسا بشيء بخس وبزعمهم أنها نفع لهم، وهم لا يؤمنون بما أنزل الله مصدقا لما معهم. فنهاهم الله بقوله "ولا تشتروا آياتنا ثنا قليلا" أي لا تشتروا آياتنا بأن تبادلوها بشيء بخس لا ثمن له.

وجاء الفعل "اشترى" في هذه السورة على نفس الصيغة كقوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ: 79) أي يشترون ثنا قليلا بكتابة الكتاب بأيديهم.

وقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: 174) أي يشتروا ثنا قليلا بكتمان ما أنزل الله من الكتاب.

16. وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ٤٣

كثير من آيات القرآن وجد الباحث أن الله تعالى يختص بذكر الركوع عند التحدث عن الصلاة كما في الآية. (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) حِطَابٌ لِلْيَهُودِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِالرُّكُوعِ الْإِنْقِيَادُ وَالْحُضُوعُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الرُّكُوعُ الْمَعْرُوفُ فِي الصَّلَاةِ.

كان الفعل "ركع" لازما وقد يتعدي بحرف الجر "إلى أو اللام" يدل على معنى خضع كقولك ركع فلان إلى الله أي خضع وتواضع، ولكن في الآية جاء بعد متعد بحرف الجر (مع) وهذا تأكيد لمعنى الصلاة لِأَنَّ لِلْيَهُودِ صَلَاةً لَا رُكُوعَ فِيهَا فَلِكَيْ لَا يَقُولُوا إِنَّا نُقِيمُ

صَلَاتِنَا، دَفَعَ هَذَا التَّوَهُّمَ بِقَوْلِهِ (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِيْنَ) أَي صَلُّوا رَاكِعِينَ مَعَ الْمُصَلِّينَ. وَيَكُونُ فِي قَوْلِهِ "مَعَ" دَلَالَةً عَلَى إِيقَاعِهَا فِي جَمَاعَةٍ، لِأَنَّ الْأَمْرَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ أَوَّلًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِيقَاعُهَا فِي جَمَاعَةٍ. وَهَذَا أَيْضًا دَلِيلٌ عَلَى وَجُوبِ مِثَالَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي آدَاءِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ الْمَفْرُوضَةِ فَالْمُرَادُ بِالرَّاٰكِعِينَ الْمُسْلِمُونَ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِثْنَانِ بِالصَّلَاةِ بِأَرْكَانِهَا وَشُرَائِطِهَا.

وَالرُّكُوعُ طَاطَأَةٌ وَانْحِنَاءُ الظَّهْرِ لِقَصْدِ التَّعْظِيمِ أَوْ التَّبْجِيلِ، وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَفْعَلُهُ لِبَعْضِ كِبَرَائِهِمْ، قَالَ الْأَعْمَشِيُّ:

إِذَا مَا أَنَا أَبُو مَالِكٍ ... رَكَعْنَا لَهُ وَخَلَعْنَا الْعِمَامَةَ

17. ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٢

هذه الآية تذكيرٌ لبني إسرائيل بِنِعْمَةِ عَفْوِ اللَّهِ عَنْ جُرْمِهِمُ الْعَظِيمِ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ وَذَلِكَ مِمَّا فَعَلَهُ سَلْفُهُمْ، فَاسْنَادُ تِلْكَ الْأَفْعَالِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ بِاعْتِبَارِ مَا عُطِفَ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ: ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ فَإِنَّ الْعَفْوَ عَنِ الْأَبَاءِ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَبْنَائِهِمْ يَجِبُ عَلَى الْأَبْنَاءِ الشُّكْرُ.

العفو أصله في اللغة المحو والإزالة، يقال عفا-يعفو-عفوا فهو عاف. وكل من اشتحق عقوبة فتركته فقد عفوت عنه. قال الألويسي في روح المعاني أن "عفا" في قوله (ثم عفونا عنكم) بمعنى درس ومحا وهذا مأخوذ من قول العرب عفت الرياح الآثار، إذن درستها ومحتها.

الفعل "عفا" قد يتعدى بنفسه أو يتعدى بحرف الجر "عن" ويطلقا على معنى المحو أو الترك أو الإزالة، ولكن هناك فرق في استعمال بينهما، ان "العفو" المتعدى بنفسه استخدمها العرب في إزالة كل الشيء كقولهم (عفت الرياح الآثار)، وأما "العفو" المتعدى بحرف الجر

(عن)، استخدمها في مجال العفو عن الذنب أو الجرم أو السيئات أي يطلق على إزالة المعنوية كما في الآية "ثم عفونا عنكم". لماذا لم يقل ثم عفوناكم؟ إن حرف الجر "عن" يدل على معنى التجاوز ولو حذف فكأنما يكون هناك نوع من الصلة التي تزيلها "عن"، وتقديرها الجرم أو السيئات منفصلة من المسيء، فيليق السياق هنا باستخدام (عن) ليدل على تجاوز الجرم عن المحرم.

قال ابن الأثير من أسماء الله تعالى «العَفْوُ» هُوَ فَعُولٌ، مِنَ الْعَفْوِ وَهُوَ التَّجَاوُزُ عَنِ الذَّنْبِ وَتَرْكُ الْعِقَابِ عَلَيْهِ، وَأَصْلُهُ الْمَحْوُ وَالطَّمْسُ، وَهُوَ مِنْ أُنْبِيَةِ الْمَيْلَاغَةِ. يُقَالُ: عَفَا يَعْفُو عَفْوًا، فَهُوَ عَافٍ وَعَفُوفٌ.²⁸ وقال الغزالي "والعفو صفة من صفات الله تعالى وهو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي وهو قريب من الغفور ولكنه أبلغ منه، فإن الغفران ينبئ عن الستر والعفو ينبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر.

ولذلك قوله تعالى "ثم عفونا عنكم من بعد ذلك" هنا استخدم كلمة العفو لا غيرها فأراد منها المنح أو الإزالة عن الجرم الذي ارتكبه علماء بني إسرائيل وهو اتخاذهم العجل إلهًا لهم. وهذا العفو عن الزلة العظيمة من أعظم النعم الذي يظهر الله لهم، ولا بد من شكر الله عليه (لعلكم تشكرون).

18. وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ه ه

أي اذكروا يا بني إسرائيل حين خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل فقلتم يا موسى لن نصدقك في أن الكلام الذي نسمعه منك هو كلام الله، حتى نرى الله

²⁸ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج.3، (بيروت: المنتبة العلمية، 1399)، ص.265

عَيْنًا، فنزلت نار من السماء رأيتموها بأعينكم، فَتَلَّكُم بِسَبَبِ ذُنُوبِكُمْ، وَجُرَّأَتْكُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

جاء إخبار الله تعالى عن إيمان بني إسرائيل حيث أن الله تعالى يقول "لن نؤمن لك". وقد اختلف معنى الإيمان في القرآن باختلاف حرف التعدية يقترن به، كلمة الإيمان في اللغة مصدر أمن قد تعدى باللام والباء. فالمعدة باللام معناها التصديق فيقال (أمن له) بمعنى صدقه فيما يقول وترد أيضا معداة باللام بمعنى التسليم فيقال (أمن له) بمعنى سلمه أو حفظ غيبته فلم يتكلم في عرضه ولم يلمه في غيبته، كقوله تعالى في سورة التوبة: 61 (..يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ..) أي يصدِّق الله فيما يقول، ويصدِّق المؤمنين فيما يخبرونه به لعلمه بإخلاصهم.

وأما كلمة (أمن) المعداة بالباء فإنها تقتضى زيادة على التصديق وهو التصديق اللازم الذي لا يقبل الشك، والذي يقتضى عملا، ولهذا لا يحل أن يتعدى (أمن) بالباء إلا على ما هو ركن من أركان الإيمان. تقول أمن فلان بالله، أو أمن بالرسول، أو أمن بالكتاب، أو أمن بالملائكة، أو أمن بالملائكة، أو أمن بالقدر، لكن لا يحل أن تقول آمن بفلان من الناس، بمعنى صدقه، ولا يجوز أن تقول آمنت بالمذهب الفلاني لأن هذا وإن كان تصديقا لكنه لا يقتضى الجزم. ولكن يجوز أن تقول آمن للمذهب الفلاني، أو آمن للخبر الفلاني، أو أمن لفلان بمعنى صدقه، إذن تعديتها بالباء تقتضى التصديق الجازم لا يقبل الشكويقتضى بالعمل.

وبالتأمل قوله تعالى (وإذ قلتم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)، جاء هنا بتعدية الفعل "أمن" باللام، وهذا يدل على حالة إيمان بني إسرائيل لموسى عليه السلام ليس بتصديق الجازم، وإنما على وجه الإقرار باللسان فقط، وهذا يليق بسياق الآية (حتى نرى الله جهرة) أي لن يؤمنوا فيما جاء به سيدنا موسى عليه السلام من التوراة قبل ان يرو الله جهرة.

وَإِنَّمَا عَدَى نُؤْمِنَ بِاللَّامِ لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى الْإِقْرَارِ بِاللَّهْوَلَنِ نُفَرَّ لَكَ بِالصِّدْقِ، وَالَّذِي دَلَّ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ الْمَحْدُوفِ هُوَ اللَّامُ وَهِيَ طَرِيقَةُ التَّضْمِينِ.

19. وَوَظَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ط كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٥٧

واذكروا نعمة الله عليكم حين كنتم تتيهون في الأرض، إذ سَخَّرَ اللهُ لَكُمْ السَّحَابَ مَظْلَلًا عَلَيْكُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ حَتَّى خَرَجْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ الْمَنَّاءَ، وَهُوَ شَيْءٌ يَشْبَهُ الصَّمْغَ طَعْمَهُ كَالْعَسَلِ، وَأَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا تَعَبٍ، وَالْمَنَّاءُ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ الْعَسَلِ فَيَمْزِجُونَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ يَشْرَبُونَهُ، وَالسَّلْوَى، طَيْرٌ يَشْبَهُ السَّمَانِيَّ لِذَيْدِ الطَّعْمِ.

والفعل "ظلل" في قوله تعالى (وَوَظَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ) في اللغة يتعدى مفعولاً به بنفسه، فيكون بمعنى جعل الشيء بمعنى ما صيغ منه كقولك (ظَلَّلْتَهُ الشَّجَرَةَ) أي ألقته عليه ظلها، وفي الحديث (سَبَعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ).

وقد ورد الفعل "ظلل" هنا يتعدى بحرف الجر (على) يَكُونُ فَعَلٌ فِيهِ بِمَعْنَى فَعَلٍ، فَيَكُونُ التَّضْعِيفُ أَصْلُهُ لِلتَّعْدِيَةِ، ثُمَّ ضُمِّنَ مَعْنَى فِعْلِ يُعَدَّى بِعَلَى، فَكَانَ الْأَصْلُ: وَظَلَّلْنَاكُمْ، أَيْ أَظَلَّلْنَاكُمْ بِالْعَمَامِ، ثُمَّ ضُمِّنَ ظَلَّلَ مَعْنَى كَلَّلَ أَوْ شَبَّهَهُ مِمَّا يُمَكِّنُ تَعْدِيَتَهُ بِعَلَى، فَعَدَّاهُ بِعَلَى. وَلَيْسَ الْمَعْنَى عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ ظَاهِرُ اللَّفْظِ، إِذْ ظَاهِرُهُ يَقْتَضِي أَنْ الْعَمَامَ ظَلَّلَ عَلَيْنَا، بَلْ يَكُونُ قَدْ جُعِلَ عَلَى الْعَمَامِ شَيْءٌ يَكُونُ ظِلَّةً لِلْعَمَامِ. فيكون تقدير معنى الآية وظللناكم إذ كلل عليكم الغمام. إذن قد يتعدى الفعل "ظلل" إلى مفعولين أحدهما بحرف الجر "على".

20. وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنَّا وَإِنَّا خَلَّا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتَدَّبَّرْتُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُذَكِّرَ لَكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَهْقَلُونَ ۗ۶

قوله تعالى (بما فتح الله عليكم)، كلمة (فتح) في اللغة قد يتعدى بنفسه ويطلق على معنى المحسوس والمعنوي، والمحسوس كقولك (فتحت درجا) وأما المعنوي كقولك (فتح الله قلبه للأمر) أي شرحه. ولكن قد يتعدى أيضا بحرف الجر (على) ويدل على معنى المحسوس كقولك (فتح الله عليه)، أي أرشده وهداه. إذن قد يتعدى الفعل (فتح) بنفسه وبغيره أو بواسطة حرف الجر، ويدل على معنى المحسوس والمعنوي.

وقوله تعالى (بما فتح الله عليكم)، جاء هنا متعديا بحرف الجر (على) إذن يدل على معنى المحسوس، وقد يضمن معنى فعل الأخر وهو الفعل (أنزل أو قضى) لأنه متعد بحرف الجر (على) ويناسب سياق الآية. فيكون تقدير معنى الآية أتحدثونهم بما فتح الله أي أرشدكم الله إذ أنزل الله عليكم في التورة.

ولو سأل سائل لم عدل سبحانه "فتح" على أنزل؟ ولو قال سبحانه بما أنزل عليكم لضاع معنى (فتح)، ولكن إذ أراد الله مجموعة المعنى من الفعلين، وذلك من إيجاز القران. وهذا يوافق بقول أبو حيان في كتابه "البحر المحيط في التفسير" نقلا من أقوال العلماء "فَعَلَىٰ مَا قَالَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ يَكُونُ الْفَتْحُ بِمَعْنَى الْإِعْلَامِ وَالْإِذْكَارِ، أَيُّ أَتَحَدَّثُونَهُمْ بِمَا أَعْلَمَكُمُ اللَّهُ مِنْ صِفَةِ نَبِيِّهِمْ؟ وَرَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَعَلَى قَوْلِ السُّدِّيِّ: يَكُونُ بِمَعْنَى الْحَكْمِ وَالْقَضَاءِ، أَيُّ أَتَحَدَّثُونَهُمْ بِمَا حَكَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَىٰ أَسْلَافِكُمْ وَقَضَاهُ مِنْ تَعْدِيهِمْ؟ وَعَلَى قَوْلِ ابْنِ زَيْدٍ يَكُونُ بِمَعْنَى: الْإِنزَالِ، أَيُّ أَتَحَدَّثُونَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي التَّوْرَةِ؟ وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: الْمَعْنَى بِمَا قَضَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ رَاجِعٌ لِمَعْنَى الْإِنزَالِ".²⁹

²⁹ أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ص. 441.

21. وَاتَّبِعُوا مَا تَلُوا الشَّيْطَانِ مِنْ عَدَايِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُهُ وَالنَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمَرُوتَ.. الخ ١٠٢

(على) قدرها الطبري بمعنى (في) أو (الباء)، في زمن سليمان، أو بملك سليمان وذهب الرازي إلى تضمين تتلو معنى تفتري وتكذب. وذهب الألوسي: إلى أن تتلو: معناه تتبع أو تقرأ. و (على ملك) متعلق بـ تتلو وفي الكلام مضاف محذوف أي عهد ملكه وزمانه. أو (الملك) مجاز عن (العهد). و (على) بمعنى (في) وقد صرح في التسهيل بمحيئها للظرفية، لأن الملك وكذا العهد لا يصلح مقروءا عليه.

ومن الأصحاب من أنكر جيء على بمعنى في وجعل هذا من تضمين تتلو معنى تتقول (يعني تفتري). وقال الزركشي: تتلو الشياطين على ملك سليمان أي في زمن ملك سليمان (الظرفية) ومثله الموزعي وأما ابن السيد البطليوسي فضمن تتلو معنى تتقول وتفتري فعده تعديته ويمكن أن تكون (على) إنما استعملت هاهنا لأن معناه أنهم تقولوا على ملك سليمان ما لم يكن فيه. كما يقال: تقولت عليه ما لم يقل. ونص الفراء على أن (في) تصلح مكان (على). وهذا ما يوافق بقول الرازي "أن الأقرب أن يكون مراد الآية وَاتَّبِعُوا مَا تَلُوا الشَّيْطَانُ افْتِرَاءً عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْرَعُونَ مِنْ كُتُبِ السَّحَرِ وَيَقُولُونَ إِنَّ سُلَيْمَانَ إِنَّمَا وَجَدَ ذَلِكَ الْمُلْكَ بِسَبَبِ هَذَا الْعِلْمِ، فَكَانَتْ تِلَاوَتُهُمْ لِتِلْكَ الْكُتُبِ كَالِافْتِرَاءِ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ.³⁰

وقال الباحث ولعل ما ذهب إليه أبو بكر والرازي في تضمين تتلو معنفتري وتتقول على عهد سليمان هو الأدنى لما عليه السياق، يقولون عليه ما لم يقله افتراء عليه، ولا

³⁰الرازي، مفاتيح الغيب، ط. 3، ج. 3، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ)، ص. 618.

مساغ لتناوب الحروف وتعاورها: (على) بمعنى (في) أو (الباء) أو سواه. فمن أصر فليأخذ في غير هذه الصناعة.

ويكون تقدير معنى الآية أن أهل الكتاب اتبعوا ما تفتريه الشياطين على عهد سليمان، يضللون الناس به من دعاوى مكذوبة على لسانهم، وقالوا أن سليمان كان ساحرا وأنه سخر ما سخر عن طريق السحر الذي كان يعلمه ويستخدمه، فنفى القرآن عنه بأنه كان ساحرا (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) فجعل السحر واستخدامه كفرا، وأثبتته للشياطين، (وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ).

ولماذا عدل ربنا عن لفظ الافتراء إلى لفظ التلاوة؟ ولو قال "تفتروا" لضاع معنى التلاوة ولا يتناسب بسياق الآية، وإنما أراد سبحانه أن يعز سليمان بأنه ليس كافرا ولا ساحرا، وما يتلوه الشياطين عنه كله كذب.

22. وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الْآلِيَّاتِ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ ۱۳۰

أي لا يُعرض أحد عن دين إبراهيم، وهو الإسلام إلا سفِه نفسه جاهل، ولقد اخترنا إبراهيم في الدنيا نبياً ورسولا وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين لهم أعلى الدرجات.

تأمل الآية حيث أن الله تعالى يقول "ومن يرغب عن ملة إبراهيم"، وكلمة "الرغب" هنا يقترب بحرف الجر (عن) مع أنها قد يقترب في بعض آيات القرآن بحرف الجر (في) أو (إلى) أو (الباء)، فما الفرق بين كل منها؟ وما المراد من الآية التي وردت فيها (رغب عن)؟.

والفعل (رغب) حين عدى إلى المرغوب ففي الظرفية التي تقتضي أن المرغوب احتوى الرغبة كما يحتوى الظرف على المظروف، أنبأ ذلك عن معنى الحرص وكأنه أفرغ كل رغبته

فيه، وحين عدى بالى التي تدل على انتهاء الغاية، أفاد انصراف الراغب إلى مرغوبه، وتوجهه إليه، وانصرافه عما عداه كقوله تعالى (إنا إلى ربنا راغبون... التوبة:59)، وحين عدى بالباء التي تفيد الإلصاق كما في قوله تعالى (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه...التوبة:120) دل على الضن والبخل بها، لأن إصراق الرغبة بالأنفس يدل على شدة الارتباط بها وعدم التفريط فيها. وأما وحين عدى بحرف المجاوزة، دل بما اكتسبه من معنى هذا الحرف على الانصراف عن الشيء وتجاوزه كما في الآية(ومن يرغب عن ملة إبراهيم) فهذه المعاني التي تواردت على فعل الرغبة إنما اتسع لها بحكم ما اكتسبه من معاني الحروف التي وصل بها.

23. فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ١٥٢

وقوله تعالى (واشكروا لي) من شكر-يشكر شكرا، شكر الله أي حمده وذكر نعمته، وأصله في اللغة بمعنى الظهور والذكر، وأما في القرآن عبارة عن عبادة الله ثناء عليه وامتنانا لفضله العظيم.

وقد يتعدى الشكر في القرآن تارة بنفس وتارة بحرف جرٍّ، بِحَقِّ الْوَضْعِ فِيهِمَا. بالنسبة بنفسه عادة يطلق على الشكر للنعمة كقوله تعالى (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ. النمل:19)، وأما بالنسبة أنه متعد بحرف الجر (اللام)، يدل على الشكر للمنع لقول تعالى (أن أشكر لله ولواليا) وكما في هذه الآية (واشكروا لي).

وَلِذَلِكَ فَسَّرَ الرَّمَحْشَرِيُّ هَذَا الْمَوْضِعَ بِقَوْلِهِ (وَاشْكُرُوا لِي مَا أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ). وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَاشْكُرُوا لِي، وَاشْكُرُونِي بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَ(لِي) أَفْصَحُ وَأَشْهَرُ مَعَ الشُّكْرِ وَمَعْنَاهُ:

نِعْمَتِي وَأَيَادِيَّ، وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ: شَكَرْتُكَ، فَالْمَعْنَى: شَكَرْتُ لَكَ صَنِيْعَكَ وَذَكَرْتُهُ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ، إِذْ مَعْنَى الشُّكْرِ: ذَكَرُ الْيَدِ وَذَكَرُ مُسْنَدِيهَا مَعًا، فَمَا حُذِفَ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ اخْتِصَارٌ لِدَلَالَةِ مَا بَقِيَ عَلَى مَا حُذِفَ. وإنما قدم الذكر على الشكر في قوله (واذكروني) لأن في الذكر اشتغالاً بذاته تعالى وفي الشكر اشتغالاً بنعمته، والاشتغال بذاته تعالى أولى من الاشتغال بنعمته.

وقال ابن عاشور وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَاشْكُرُوا لِي) أَمْرٌ بِالشُّكْرِ الْأَعْمِ مِنَ الذِّكْرِ مِنْ وَجْهِ أَوْ مُطْلَقًا، وَتَعْدِيَّتُهُ لِلْمَفْعُولِ بِاللَّامِ هُوَ الْأَفْصَحُ وَتَسْمَى هَذِهِ اللَّامُ لَامَ التَّبْلِيغِ وَلَامَ التَّبْيِينِ كَمَا قَالُوا نَصَحَ لَهُ وَنَصَحَهُ.

ترى أن الشكر باللام في الآية (واشكروا لي) وفي الآية (أن أشكر نعمتك) هناك فرق بينهما، إذ الأول عداه باللام ويدل على الشكر المخصوص بالمنعم، والثاني الشكر للنعمة التي أنعمه بالمنعم.

24. يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقِتَالِ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى. الخ ١٧٨

وقد ورد لفظ "كتب" في ثلاثة مواضع من سورة البقرة منها قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ/183)، وقوله (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ/216) وقوله سبحانه في هذه الآية (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ).

ذكر العز بن عبد السلام في كتابه (تفسير العز بن عبد السلام) أن لفظ (كتب) بمعنى فرض وألزم. فضمن الكتاب معنى الفرض. وقال أبو حيان: أخبر تعالى بكتب القصاص أولاً

وهو إزهاق الروح وإتلافها. وهو أشق التكاليف ثم بكتب الوصية وهو إخراج المال عدل الروح، ثم بكتب الصيام وهو منهك للبدن.

وقال الباحث اعتمادا على ما قاله المفسرون أنلفظ (الكتب) كما سلف مضمن معنى (الفرض) فهو متعد بما تعدبه، فإذا سأل سائل: ما معنى أن يجيء التعبير بالكتب ولم يرد بالفرض؟

الجواب، لأن أحكام الله أنزلها في كتابه وكتبها على عباده، فالكتابة تثبيت لأحكامه المفروضة على العباد والفرض قدسم والكتابة محدثة. ولو قال (فرض عليكم القتال)، أو (فرض عليكم الصيام)، أو (فرض عليكم القصاص) لكان وقع أمر، وإلزام الفريضة أقل من كلمة (كتب). وهذا من باب الحكم لأن كلمة (كتب) تحمل معنى فرض وزيادة، وهذه الزيادة هي: أن هذا الأمر قد فرض الله عليك وسجله عنده.

أضرب على ذلك مثالا: أنا أقدم لك قرضا، ثم أسجل عليك هذا القرض، وأجعلك توقع عليه. فأنت تشعر بأن هذا الدين صار أكد في ذمتك مما لو اقترضت ولم يكتب عليك سند. لذلك كلمة (كتب) تحمل معنى فرض وزيادة وهي التوثيق، والإنسان يلتزم بالأمر ويلتزم بتوثيق الأمر بالأمر أكثر. لأن الإنسان يريد أن تكون رقبته محررة.

وهكذا يكشف اللفظ في التضمنين عن أبعاد مدلوله، حسب وضعه في سياقه مما استودعته في هذه اللغة الشريفة.

إنَّ الصوم استعلاء على ضرورات الجسد وإيثار للآجلة على العاجلة. والقصاص استعلاء على العواطف وحفظ النفس في القتل أو عند قبول الدية على حد سواء. والجهاد استعلاء بالبشرية كلها أن ترتفع على ذاتها، وتتمرس على طاعة ربها.

وما جاءت (على) في الفروض الثلاثة إلا لتظهر فيها مزية من الجهة التي هي أصح لتأديتها، وأخص بها، وأكشف عنها، وأبهر في صناعتها. ويبقى التضمنين في الفعل تروعاك بهجته ويؤنسك بوجهه.

25. فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِلْمَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَلَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥

ذكر الزمخشري والعز: إن (كَبَّرَ) عُذِّي بحرف الإستعلاء (على) لأنه تَضَمَّنَ معنى (الحمد). وقال ابن عباس (تكبروا) أي تعظموا. وروى الآلوسي أن المراد من التكبير الحمد والثناء مجازا لكونه فردا ولذلك عُذِّي بـ (على)، واعتبار التضمنين أي لتكبروا حامدين ليس بمعتبر لأن الحمد نفس التكبير ولكونه على هذا عبادة قولية، ناسب أن يُعَلَّلَ به الأمر بالقضاء الذي هو نعمة قولية أيضا.

وقال أبو السعود في كتابه (تفسير أبي السعود) أن تعدية فعل التكبير بـ (على) لتضمنه معنى الحمد، كأنه قيل: ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم والمعنى بالتكبير: تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه.

وأشار السيوطي أيضا (على ما هداكم) أي لهدايته إياكم. و(على) بمعن اللام. وكذلك الزركشي. والموزعي.

وروى أبو حيان أن التكبير في قوله تعالى (ولتكبروا الله) يتضمن معنى الحمد، كأنَّ الله يقول:

وَلِتَحْمَدُوا اللَّهَ بِالتَّكْبِيرِ عَلَى مَا هَدَاكُمْ. وقيل: التكبير عند رؤية الهلال في آخر رمضان، وقال ابن عباس: هلال شوال. وقيل: التكبير المسنون في العيد. وقال سفيان: يوم الفطر.

بعد أن ذكر الباحث بعض اقوال المفسرين فيرى أن (التكبير) يتضمن معنى (الحمد والثناء) فُعدي تعديته، فما علاقة التكبير بالحمد إذن؟ الصوم نعمة من نعم الله يستحق منا الشكر والحمد والثناء، أما التكبير والتعظيم فمظهر من مظاهر الثناء على الله المجيد. فالصائمون يشعرون بنعم الله محسوسة ملموسة في استجاباتهم لأوامره وفي استجابته لدعائهم (أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ) فليكبروا الله الماجد ويحمدوه على هذه الدورة التربوية في مدرسة رمضان.

وإذا كان التكبير صورة من صور الحمد والثناء، على الله فتعظيم الله وتمجيده لا يتم إلا بحسن الثناء عليه وفي الصلوات الإبراهيمية: الحمد مقرون بالتمجيد والتعظيم (إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ) وهل يليق حسن الثناء إلا بعظيم! وهل يستحق الحمد إلا الكبير الجليل! والتكبير في الحج تعظيم للجليل وتمجيد مقرون بالحمد (الله أكبر والله الحمد) فهو صورة من صور الثناء على الله، فمزية التضمين أنه جمع المعنيين جميعا ليجعل اللغة وسيلة تساعدنا بحسن الصنعة ولطف المأخذ على تكييف سلوكنا مع كتاب الله وأوامره.

26. أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفَتْ إِلَى نَسَدِكُمْ هِيَ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ، الخ ١٨٧

كَلِمَةُ "الرَّفَتْ" مَصْدَرٌ "رَفَتْ يَرْفُتُ رَفَاتًا" أَي: صَرَّحَ بِكَلَامٍ يَتَعَلَّقُ بِالْجَمَاعِ وَمُقَدِّمَاتِهِ، أَوْ فَعَلَ مَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ.

وأصل الرّفث لا يتعدّى لغة بحرف "إلى" لكنّه ضُمّنَ معنَى فِعْلِ "أَفْضَى" فَعُدِّيّ تعدّيته، يُقَالُ: أَفْضَى إِلَى زَوْجَتِهِ، أَي: أزال ما بَيْنَهُمَا مِنَ الْفِضَاءِ فَالتَصَقَّ بِهَا، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْجَمَاعِ.

ذكر أبو حيان: عُدي الرّفث بـ (إلى) وإن كان أصله الباء لتضمنه معنى (الإفضاء). وقد ذهب ابن جني وغيره كابن الشجري والزركشي إلى أنّها في معنى الإفضاء.

وأنت لا تقول رفثت إلى المرأة وإنما تقول: رفثت بها أو معها، ولكنه لما كان الرّفث هنا بمعنى الإفضاء، وكنت تُعدي أفضيت بـ إلى، جئت بـ (إلى) مع الرّفث إيذاناً بأنه في معناه.

وقال الباحث الرّفث أي الإفحاش وهو بالفرج (الجماع) وباللسان: المواعدة للجماع، فتضمن الرّفث وهو مقدمات المباشرة أو المباشرة ذاتها معنى الإفضاء. والمتعدي بـ (إلى) يمنح العلاقة بين الزوجين لمسة إنسانية تترفع بها عن عالم الحيوان، لمسة حانية فيها من الرفق والنداوة والشفافية مثلما ما فيها من سمو المشاعر.

وتقدير الكلام: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْثُ بِالْحَدِيثِ مَعَ نِسَائِكُمْ مُقَدِّمَةً مُنَاسِبَةً يَكُونُ بَعْدَهَا الْإِفْضَاءُ إِلَيْهِنَّ وَجَمَاعُهُنَّ، وَاللَّهُ بِهَذَا يُعَلِّمُ الْأَزْوَاجَ آدَبَ الْمَعَاشِرَةِ بِاسْتِخْدَامِ الْمَقْدِمَاتِ قَبْلَ الْإِفْضَاءِ وَالْمَعَاشِرَةِ الزَّوْجِيَّةِ.

27. وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٩٥

قال الزمخشري: الباء في قوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) مزيدة مثلها: أعطى بيده للمنقاد. والمعنى: لا تُقبضوا التهلكة أيديكم، أي لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم. وقيل بأيديكم: بأنفسكم. وقيل: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم. وقال البيضاوي: والباء

مزيدة والمراد بالأيدي: الأنفس. ولا تلقوا بأيديكم إليها فحذف المفعول وعدى الإلقاء بـ (إلى) لتضمنه معنى الإنهاء.

وقال محمد نديم فاضل في كتابه "التضمين النحوي في القرآن الكريم"، ولعل تضمين (ألقى) معنى (رمى) والمتعدي بالباء يعفينا من القول بزيادة الباء فالبيان المعجز غني عن الزيادة، ولأن الفعل (ألقى) لا يتعدى بالباء. وفي لفظ (الرمي) ما ليس في الإلقاء من المهانة والمشامة قَالَ تَعَالَى: (تَرْمِي بِشَرِّهِ) وقال: (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ) وقال: (يَرْمِي بِهِ بَرِيئًا) وهذا الإيجاش مراد في سياق الشح بالمال والإمساك عن النفقة في تجهيز الغزاة، مقصود في عجز الأمة وهزيمتها حين تتخلف عن جهاد عدوها.³¹

بالتأمل أن هذه الآية توضح أن الوقوع في المهالك سببه الشح وترك النفقة في القتال وتجهيز الغزاة، أو الجبن عن بذل النفس في ساحات الجهاد، فثمن الأمة بالهزيمة فتهلك. فإن انتهوا عما نهاهم الله عنه بلغوا درجة الإحسان: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) فالمعنى الأول: يجعلك تنفق في سبيل الله ولا تلقي بيدك إلى التهلكة بترك القتال، والمعنى الثاني؛ لا تقدم على القتال بلا إعداد كافٍ. فالله يريد منا أن نزن الأمور وزناً يجعلنا: لا نترك الجهاد فيغلب علينا عدونا فنهلك، ولا نحب القتال لمجرد الرغبة فيه قبل التدريب فيه والاستعداد له.

ولذلك يرى الباحث أن لفظ (ألقى) يتضمن معنى رمى كما ذهب فاضل من قبل، فتقدير معنى الآية "فلا ترموا أنفسكم إلى التهلكة بأيديكم أي بما جنته أيديكم من الشح في النفقة في تجهيز الغزاة".

والسؤال أخيراً لم جاء التعبير (بالإلقاء) بدل (الرمي)؟ نفس المؤمن مكرمة عند الله عز وجل فلا يليق بها أن تُرمى. ففي الرمي من المهانة والبذاذة ما ليس في الإلقاء كما أسلفت

³¹ محمد نديم فاضل، التضمين النحوي في القرآن الكريم، ج.2، ط.1، (المدينة المنورة: دار الزمان، 1426هـ)، ص.205.

قَالَ تَعَالَى: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) وقال: (فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا) وقال: (أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٍ) وقال: (سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) ولذلك جاء النهي للمؤمنين بالإلقاء بدلا من الرمي.

28. **أَلَمْ تَو إِلَىٰ الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمَ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**
٢٤٣

لا يخفى أن الفعل حين يعدى بحرف من حروف الجر تختلف دلالاته باختلاف الحروف الداخلة عليه. فهذا الفعل خرج عند تعديته "بمن" دل على ابتداء الخروج كما في قوله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. البقرة:243)، تدل "من" في هذا السياق القرآني على أن أولئك القوم قد ابتداء خروجهم من ديارهم بسائق الخوف من عدو مهاجم لا من قتلهم، فقد كانوا "ألوفاً"، أي كثيرين، وإنما الحذر الذي ولده الجبن في أنفس الجبناء فيريهم أن الفرار من القتال هو الواقي من الموت.

ولو قيل "خرجوا وهم ألوف حذر الموت" لدل التعبير على أن خروجهم كان لملاقاة العدو مع حذرهم من الموت، لكن ما عليه النظم القرآني أبلغ وأدل على المراد، لأن تعديته الفعل بمنفى قوله تعالى (خرجوا من ديارهم) يبرز خورهم وشدة جبنهم، وأن خوفهم من العدو الذي يتسبب عنه موتهم ابتداء وهم في ديارهم فكان السبب في فرارهم من ديارهم خوفا من ملاقاته، ولذا جيء بمن للدلالة على ابتداء خروجهم من ديارهم فرارا من العدو وخوفا من الموت.

ونظير هذه الآية قوله تعالى (فخرج منها خائفا يترقب. القصص:21) فتعدية الفعل بمن دل على بدء خروج موسى من المدينة خائفا، وأن الخوف كان ملازما له، مستقرا في

نفسه، ولذا أثر البيان القرآني التعبير بالاسم "خائفا" للدلالة على ثبوت الخوف واستقراره في نفس موسى عليه السلام، وعبر بالفعل "يترقب" للدلالة على تجدد الترقب وحدوثه حالا فحالا

29. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأُذَىٰ يَكُونُ لَهُ
الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَدَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ
اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن
يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧

وحيث عدي بحرف الاختصاص اللام قوله تعالى (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا)
دل أن المراد بالبعث خير المرسل إليهم ونفعهم وأن بعثه كان لهم ولأجلهم.

وحيث أريد بالبعث الإبلاغ والإنهاء إلى المرسل إليهم جاءت متعد بمن كما في قوله (ثم
بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا.. يونس: 75)

وحيث عدى بحرف الظرفية "في" كقوله تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم
يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة... الجمعة: 2)

دل حرف الظرفية على أن المبعوث واحد من أو ساطهم معروف لهم وليس مجهولا لهم نائيا عنهم وفي ذلك
من النعي

على عقول من كفروا به والتسجيل عليهم والتأكيد على جحدهم للحق مع بصد ظهور أدلتهم وبقينهم

م بصدق من أرسل إليهم لأنه يعيش بينهم ويتقلب

فيهم. كل هذه المعاني المتباينة للفعل بعث إنما كانت له بسبب تنوع حروف الجر المتنوعة الداخلة عليه.